

دلائل الإعجاز

جئتَ به لتزیدَ معذی فی إخبارکَ عَذُّهُ بالمجیة وهو أنْ تَجْعَلْهُ بهذه الهيئة فی مجیئهِ . ولم تجرِّد إثباتکَ للركوب ولم تبأشِرْهُ به ابتداءً بل بدأتَ فأثبتَّ المجیة ثم وصلتَ به الركوبَ . فالتبسَ به الإثباتُ على سبیل التَّسْبِيعِ لغيره وبشرطِ أنْ يكونَ فی صِلَاتِهِ . وأمّا فی الخبرِ المطلق نحو " زیدٌ منطلقٌ وخرج عمرٌو " فإنَّکَ أثبتَّ المعنی إثباتاً جرَّدتَه له وجعلتَه یبأشِرُهُ من غیر واسطةٍ ومن غیر أن تتسبَّبَ بغيره إليه .

وإذْ قَدِّ عَرَفْتَ هذا فاعلمْ أنَّ کلَّ جملةٍ وقعتْ حالاً ثم امتنعتْ من الواو فذاك لأجلِ أنَّکَ عمَدْتَ إلى الفعلِ الواقعِ فی صدرِها فضممتَه إلى الفعلِ الأولِ فی إثباتٍ واحدٍ . وكلُّ جملةٍ جاءتْ حالاً ثم اقتضتْ الواو فذاك لأنَّکَ مستأنِفٌ بها خبراً و غیرٌ قاصدٍ إلى أن تضمَّنها إلى الفعلِ الأوَّلِ فی الإثبات .

تفسیرُ هذا أنکَ إذا قلتَ : جاءني زیدٌ یسرعُ . کانَ بمنزلة قولیکَ : جاءني زیدٌ مسرعاً . فی أنکَ تثبتُ مَجِئاً فیهِ إسرَاعٌ وتصلُ أحدَ المعنیین بالآخرِ وتجعلُ الکلامَ خبراً واحداً وتریدُ أن تقولَ : جاءني كذلك وجاءني بهذه الهيئة . وهكذا قولُهُ : (وقد علاوَتُ قُتُودَ الرَّحْلِ یَسْفَعُ عُنِي ... یَوْمٌ قُدَیدِیمَةٍ الجَوَازِ مَسْمُومٌ) .

کأنه قال : وقد علاوَتُ قُتُودَ الرحلِ بارزاً للشمسِ ضاحياً . وكذلك قولُهُ : (مَدَنی أَرَى الصُّبْحَ قَدَ لَاحَتَ مَخَایِلُهُ ...) .

لأنه فی معنی : متى أرى الصبحَ بادياً لائحاً بَیِّناً متجلِّياً وعلى هذا القیاس أبداً . وإذا قلتَ : جاءني و غلامُهُ یسعی بَیِّنَ یدیه ورأیتُ زیداً وسیفُهُ على كتفه . کان المعنی على أنکَ بدأتَ فأثبتَّ المجیة والرؤيةَ ثم استأنفتَ خبراً وابتدأتَ إثباتاً ثانياً لسعیِ الغلامِ بینَ یدیه ولکونِ السیفِ على کَتِفِهِ . ولمَّا کان المعنی على استئنافِ الإثباتِ احتیجَ إلى ما یربطُ الجملةَ الثانيةَ بالأولى فجاءَ بالواو كما جیءَ بها فی قولکَ : زیدٌ منطلقٌ وعمرٌو ذاهبٌ والعلمُ حسنٌ والجهلُ قبیحٌ . وتسمیتُنا لها " واو الحال " لا یُخرجُها عن أنْ تكونَ مُجْتَلِبَةً لضمِّ جملةٍ إلى جملةٍ . ونظیرُها فی هذا الفاءُ فی جوابِ الشرطِ نحو : إن تأتیني فأنتَ مُكْرَمٌ